هوامش

ستّة عقود مرّت على تلك الرحلة التي شكّلت نقطة تحوّل في تاريخ الرحلات المأهولة إلى الفضاء. حينها، نجح يوري غاغارين ومعه الاتحاد السوفييتي في اختراق الغلاف الجوي وتحقيق سابقة

غاغارين في لندن بعدما رغب الجميع في لقائه (Getty)

يوري غاغارين

60 عاماً على رحلة الإنسان الأولى إلى الفضاء

موسكو ـ **رامي القليوبي**

في مثل هذا اليوم قبل 60 عاماً، كانت الرحلة المأهولة الأولى إلى الفضاء التي أجراها رائد الفضاء السوفييتي يوري غاغارين، مطلقاً من خلال رحلته تلك صفحة جديدة في علاقة البشر بالفضاء الكوني الذي جذب الإنسان وناداه منذ قديم الزمان. ففي صباح 12 إبريل/ نيسان من عام 1961، أقلعت مركبة «فوستوك-1» (الشرق-1)، وعلى متنها غاغارين، البالغ من العمر حينها 27 عاماً، وذلك من مطار بايكونور الفضائي في جمهورية كازاخستان السوفييتية الاشتراكية، بعدما هتف «لننطلق!». وقد قام غاغارين بالدوران حول الأرض، قبل أن تهبط مركبته في مقاطعة ساراتوف في جنوب جمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية الاشتراكية، عائداً إلى الأرض بسلام. ورحلة غاغارين تلك جاءت، بحسب ما يشير الكاتب والصحافي العلمي والباحث في تاريخ الملاحة الكونية أنطون بيرفوشين، ثمرة لعقود من البحوث العلمية وسلسلة من الرحلات غير المأهولة والتنافس العسكري الروسي الأميركي في أثناء الحرب الباردة. ويحكي بيرفوشين، لـ«العربي الجديد»، عن «تساؤلات كثيرة حينها حول قدرة الإنسان على التصرف في ظروف تغيب فيها الجاذبية لفترات طويلة. فقد كانت المحاكاة ممكنة على الطائرات لمدّة لا تزيد عن دقيقة واحدة في أثناء السقوط الحر، في حين أنّ تجاوز هذه المدّة يؤدي إلى تحطمها. لكنّ غاغارين أثبت في أثناء رحلته تلك أنّ الإنسان قادر على تناول الطعام والشراب عبر شفاطة والتعامل مع جهاز الراديو في غياب الجاذبية». يُذكر أنّ رحلة «فوستوك-1» جرت بأكملها بالنظام الأوتوماتيكي، نظراً إلى مخاوف من فقدان الإنسان القدرة على التحكم في نفسه في غياب الجاذبية. ومع ذلك، تسلّم غاغارين شيفرة خاصة للانتقال إلى النظام اليدوي إذا اقتضى الأمر ذلك.

وعن دوافع اختيار غاغارين تحديداً كأوّل رائد فضاء لهذه المهمة، يقول بيرفوشين إنّ «الأمر لم يأتِ صدفة، فهو كان قد أظهر الدرجة الكبرى من الاستقرار النفسي بين نحو 20 مرشحاً لذلك في أثناء الاختبارات، وتميّز بقدرة عالية على التحوّل من العمل إلى الراحة والعكس صحيح». ويلفت إلى أنّ إرسال الإنسان إلى الفضاء كانت له في الأساس أهداف عسكرية واستخباراتية، مضيفاً أنّ «تصميم الأجهزة الفضائية كان يتمّ في الأساس كأجهزة استطلاع. حتى غاغارين، كُلّف بمهمة عسكرية، وهي تقييم قدرة الإنسان على رصد مواقع على الأرض انطلاقاً من الفضاء. وفي الرحلة التالية، أجرى رائد الفضاء السوفييتي الثاني غيرمان تيتوف عملية التصوير الأولى من الفضاء».

بعد رحلة غاغارين تلك، صار الاتحاد السوفييتي البلد الأوّل في العالم الذي تمكّن من إرسال إنسان إلى الفضاء، الأمر الذي زاد من مكانته في الساحة الدولية وسط احتدام التنافس بين موسكو والغرب. وتحوّل غاغارين من طيّار شاب نشأ في عائلة بسيطة إلى شخصية عالمية حرص الملوك والرؤساء على استقباله ومصافحته، وصار وجهاً للاتحاد السوفييتي في العالم.

في سياق متصل، كانت الرحلة المأهولة الأولى إلى الفضاء مليئة بتفاصيل لم يُكشف عن بعضها إلا بعد مرور الزمن. ومن بين تلك التفاصيل، وجود رائدَي الفضاء الاحتياطيَين غيرمان تيتوف وغريغوري نيليوبوف في المطار في خلال عملية الإطلاق، وقد سجّل روّاد الفضاء الثلاثة كلمات توجّهوا بها «إلى الشعب السوفييتي». إلى جانب ذلك، أعدّت وكالة الأنباء الرسمية السوفييتية «تاس» ثلاثة أخبار مسبقاً، أحدها حول نجاح الرحلة والثاني حول عملية البحث عن رائد الفضاء والثالث جُهّز في حال وقوع كارثة. من جهة أخرى، بينما أُعلن بداية أنّ الرحلة استغرقت 108 دقائق، فإنّ البيانات التي تمّ التدقيق بها ورُفعت السرية عنها لاحقاً أظهرت أنّ مدة الرحلة بلغت 106 دقائق. وفي تفصيل آخر، في خلال عملية الهبوط، قال غاغارين في اتصال بالأرض «أنا أحترق، ودعاً أيها الرفاق!»، بعد رؤيته ألسنة نار عبر نافذة المركبة في أثناء مرورها في الطبقات الكثيفة من الغلاف الجوي. لكنّه اتّضح في ما بعد أنّ ما حصل ظاهرة طبيعية تحدث في كل رحلة عند احتكاك المركبة بالغلاف الجوي، وهو مشهد اعتاد روّاد الفضاء على رؤيته حالياً. إضافة إلى ذلك، قبل الرحلة بيومَين، كتب غاغارين رسالة وداع لزوجته، لكنّها لم تُسلّم إليها إلا عقب مقتله في حادثة تحطم طائرته في أثناء تحليق تدريبي في مارس/ آذار من عام 1968.

ألغاز ونظريات مؤامرة كثيرة تمّ تداولها حول مقتل يوري غاغارين في أثناء تدريب، بعدما عاد حياً من الفضاء قبل ذلك بسبع سنوات. ويقول بيرفوشين في هذا الإطار: «صحيح أنّ ثمّة شائعات كثيرة حول مقتل غاغارين، لكنّ الحادثة جاءت نتيجة مجموعة من الظروف المأساوية، بما في ذلك تنفيذ التحليق على متن طائرة ميغ-15 المزودة بخزانات وقود معلقة من دون أن يكون غاغارين خبيراً في قيادتها. يُضاف إلى ذلك تدهور الأحوال الجوية وخلل في تنظيم التحليق».

وبالعودة إلى نتائج رحلة غاغارين إلى الفضاء، يؤكد بيرفوشين أنّها «لم تقتصر على اكتشافات علمية مهمة، وإنّما كان لها جانب اجتماعي-ثقافي كذلك، إذ تمّ الإثبات أنّ الإنسان صار كائناً تجاوز نطاق كوكبه. وقد حفّزت تلك الرحلة الأميركيين على تنفيذ الرحلة الأولى إلى القمر في عام 1969». ويتابع أنّه «مع توسّع نشاط الإنسان في الفضاء الكوني، ما زالت شعبية غاغارين في ازدياد حتى اليوم، نظراً إلى أنّ رحلته مثّلت محطة فاصلة في علاقة الإنسان بالفضاء».

باختصار

في صباح 12 إبريل/ نيسان 1961، أقلعت مركبة «فوستوك-1» إلى الفضاء وعلى متنها يوري غاغارين البالغ من العمر حينها 27 عاماً

■■■

اختياره لم يأتِ صدفة، فهو كان قد أظهر الدرجة الكبرى من الاستقرار النفسي بين نحو 20 مرشحاً لذلك في أثناء الاختبارات

■■■

مع رحلة غاغارين، صار الاتحاد السوفييتي البلد الأوّل في العالم الذي تمكّن من إرسال إنسان إلى الفضاء

وأخيراً

76 شمعة لعبد الفتاح كيليطو

محمود الرحبي

أطفأ، أول من أمس، 10 إبريل/نيسان، الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو شمعته السادسة والسبعين، بعد عطاء متميز، أساسه حب التراث العربي وكنوزه الدفينة، إذ يكتب في مؤلفه الجديد «في جو من الندم الفكري» (منشورات المتوسط، ميلانو، 2020) «لولا الأدب العربي لما كتبت على الإطلاق». وقد نقل لنا عشقه كنوز هذا التراث بطريقةٍ تتميز بالالتقاط والعمق والسبر المتأني. يتعذّر وضع كيليطو في خانة نقدية وأدبية بعينها، فبقدر عنايته الفائقة بالأدب العربي القديم، نراه منفتحا ومجدّدا ومتطلعا على مختلف آداب العالم، حيث كتب عن دانتي وبورخيس وهوميروس، وحلل جملة من الأساطير اليونانية. إنه باحث عن الجمال والغرابة أينما وجدهما، ديدنه في ذلك الحقل الإنساني بروافده المتداخلة. وإلى جانب عنايته بالتراث العربي، بحثاً وقراءة، نراه كذلك يكتب في النقد الأدبي، محللا نصوصا حديثة، كما فعل مع عبد الله العروي ومحمد برادة ومحمد الصفريوي وآخرين. ومن دون أن تُنسى محاولاتُه لمزاولة جنس إبداعي حديث، وهو القصة والرواية، اللائي يكتبهما من دون أن تفلت منه صبغة السحر التي كست جل كتاباته السردية والتأملية والنقدية. ولكن تركيزه واهتمامه الأكبر خصّصه للأدب العربي القديم، الذي تشرّبه من جذوره الأولى، واستوعبه وتمثّله. وأي قراءة أو مساهمة له خارج الأدب العربي القديم تأتي من باب استراحة المحارب العتيد، أو في سياق البحث عن تمثّلات جديدة، يشحذ بها عدّته ليعود إلى مزاولة عمله الأساس، قراءة التراث العربي قراءة جديدة، تؤكد أهمية هذا التراث وعمقه، وتعزّز قيمته بين آداب العالم، كما فعل مثلا مع ألف ليلة وليلة والمقامات وعبقرية الجاحظ وأبي العلاء المعري وآخرين.

يقول عنه صاحب «الاسم العربي الجريح»، عبد الكبير الخطيبي، ملخّصا بذكاء طريقة كيليطو في الكتابة والتأمل: «إنه يكتب بانتباه متحرّر، وبطريقة تدريجية. إلا أنه انتباهٌ مصحوبٌ بنوع من المكر النادر في مجال النقد الأدبي». يتلمّس القارئ في إصدار كيليطو أخيرا جديدا بحثيا، بقدر ما يتلمس متعة جمالية أخّاذة. يشبه كيليطو في هذا الكتاب، وفي كتابين سابقين، ذلك المتقاعد الذي يعيش، وبمتعة خاصة من مدّخراته، فينفقها على مهل وبمتعة وتقتير، فقياسا بأبحاثه الراسخة والمشغولة (يدويا وعقليا) مثل قراءته المقامات وألف ليلة وليلة وتراث أبي العلاء المعرّي وأبي عثمان الجاحظ وغيرهما. وهي مؤلفاتٌ صدرت تباعا عن دار توبقال التي أخلص للنشر فيها منذ تأسيسها عام 1985، حين نشر كتابه «الحكاية والتأويل دراسات في السرد العربي»، وهو كتابٌ مقرّر ضمن مناهج البكالوريا في المغرب. تشبه المؤلفات الأخيرة مقالات عذبة قصيرة، يستريح فيها الباحث الكبير، ويستدرج قارئه إلى المضي الحرّ معه في إعادة تأملاته وبهدوء العارف. وبالطريقة نفسها التي حبّبنا فيها بلغة الضاد والتراث العربي الأخّاذ، حين أعاد اكتشاف أهم كنوزه البديعة، ليعيش القارئ معه كما كان هو يعيش عشقا صوفيا مع اللغة العربية، يُضاف كذلك إتقانه الفرنسية التي ألّف بها كتبا أخرى.

> بقدر عناية كيليطو الفائقة بالأدب العربي القديم، نراه منفتحاً ومجدّداً ومتطلعاً على مختلف آداب العالم

وبالعودة إلى كتابه الجديد «في جو من الندم الفكري»، هو، كسابق تأملاته، جولة عاشقة لكنوز التراث. نرى بين ثناياه جديدا دائما، على الرغم من إخلاص كيليطو إلى قديمه، وإعادة تدويره في بعض الأحيان، حيث يتحدّث، هذه المرة، عن أمرٍ لم يتم التطرق إليه من قبل، وهو عناوين الكتب التراثية القديمة، إذ يكتب، في إحدى فقرات الكتاب: «تثير استغرابنا عناوين بعض الكتب العربية، حين نحاول ترجمتها، فيظهر لنا ألا مفر من تعديلها أو تغييرها لنقلها إلى لغةٍ أخرى. وأقصد بذلك العناوين، وما أكثرها، المبنية على السجع والمحيلة على معادن نفسية وعطور رفيعة وبرود يمنية مزركشة، مثلا قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لابن خاقان، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرّي. لكن بعضها يحتفظ برونقه في الترجمة، مثل مروج الذهب للمسعودي، ودرّة الغواص للحريري. فحين نقرأ نصا عربيا من الماضي يبدو أكثر غرابة من نص فرنسي أو إنجليزي معاصر لنا».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**